

ثم اندلاع التظاهرات الطلابية والجماهيرية في المدن والقرى والمخيمات. وعلى الاثر، تم اعتقال اعضاء الجماعة الوطنية، فتأكد الدكتور باسل من انه سيعتقل لا محالة. في اليوم التالي، أودع الرواية التي يؤلفها في بيت وفاء، وسافر بسيارته الى القدس. وهناك شارك في التظاهرات التي اندلعت اثر اعتداء المتعصبين اليهود على حرم المسجد. في اثناء عودته الى رام الله، لقي الجنود بانتظاره، فاقتادوه الى المعتقل. وذهبت وفاء الى الشاب تيسير، مثلما أوصاها الدكتور باسل، بغية طباعة الرواية، فنشأت فيما بينهما علاقة حب متبادلة، في حين بدأت في المعتقل سلسلة من التحقيقات والاتهامات. ونظّم الطلبة (سنة شبّان وشابات، احداهن ايمان، بنت احد المتعاونين مع الاحتلال) خطة للقضاء على احد المتعاونين في بيتها؛ ونفذت ايمان الخطة بسلاح ابيها. بعدها، اكتشف أمر الجماعة، فألقي القبض على افرادها، وماتت ايمان تحت التعذيب.

أفراد الجماعة الوطنية والدكتور باسل أُخلي سبيلهم، واندلعت التظاهرات والصدامات. وفي حضور الدكتور باسل، الذي أصدرت روايته حديثاً، اتفق صديقه الشاب تيسير ووفاء على الزواج، فوافق وبارك لهما، واتجه الثلاثة الى بيرزيت، لحضور الندوة التي نظّمها الطلبة بمناسبة صدور الرواية. وقد أصدرت السلطات قراراً بمصادرة الرواية، ودعوة المؤلف الى التحقيق، بحجة ان الرواية فيها تحد واضح للاحتلال، ودعوة غير مباشرة الى منح أهل الضفة والقطاع حق تقرير المصير. بعد وصول الدكتور باسل الى بيرزيت، اعتقلته السلطات الاسرائيلية أمام الحشد قبل بدء الندوة.

هذا النص الروائي، بمختلف جزئياته، وتفصيله المركبة في السردية الحوارية، تارة، وفي التداعي الموحى، تارة أخرى، لخص معاناة شرائح المجتمع المختلفة: العامل، والمدرّس، والسياسي، والتاجر؛ ثم أشار الى المعادلة السياسية في عملية الصراع الفلسطيني - الاسرائيلي، فعكس حالة بعض الرجال المثقفين الوطنيين، الذين يخوضون حواراً مع الاسرائيليين كتمهيد للوصول، بهذا الحوار، الى م.ت.ف. (وليس كبديل منها)، ليكتشف هؤلاء الرجال ان في الامر حيلة تدبّر لاكتشاف الجماعات الوطنية، وصولاً الى اعتقال افرادها. الى ذلك، أشار النص الروائي الى اجواء التسلسل الزمني بتفاصيله في حياة المتعاونين مع الاحتلال، وكيف ينساقون الى هذه «المهنة الخيانية» دون ان يتلمّحوا خطوات الدرب العسير الذي يسرون عليه.

رواية «الطريق الى بيرزيت» لا تتعد من الاجواء المعاشة، الآن، في ظل الانتفاضة الجماهيرية، التي تعم الاراضي المحتلة كافة، على الرغم من ان النص صورّ محاور محددة جغرافياً، وزمانياً، للاحداث في وقوعها وانفجارها. الا ان دلالة هذه الاحداث أخذت بعداً أكبر من زمانها وجغرافيتها؛ وذلك ظهر في سياق النص المكتوب بأسلوب ليق، فيه من المباشرة الحوارية مثل ما فيه من الايحاء والتداعي.

وفي روايته، لم يغامر شحادة، فأعطى لذاكرة التداعي عنانها مثلما زجر مباشرة الحدث الواقعي في سرديته الحوارية، ولو كنّا تمنّينا ان يطلق الكاتب العنان لحرية الخيال، حتى وان كان ذلك أكثر ممّا يجب.

وأياً يكن الامر، فان «الطريق الى بيرزيت» أصدرت في العام الاول للانتفاضة، وحمل نصّها مطابقات مع الواقع تكاد تكون تسجيلية، لو ان المدى الزمني لكتابتها ترافق مع الحدث اليومي للانتفاضة. ولكن من الواضح ان الرواية كتبت قبل اندلاع الانتفاضة المجيدة. ومن هنا، فانها حملت استشرافاً لما يمكن ان يقع. وهنا تكمن أهمية هذه الرواية، ودلالاتها، اضافة الى انها تكاد